

## ما يكل وولف: مصحّة البيت الأبيض



عامر محسن

«فليأخذ الأردن الصفة الغريبة، فلتأخذ مصر غزّة. أو فليغرقوا وهم يحاولون. السعوديون والمصريون وصلوا إلى حدّ الانهيار. هم يخافون لدرجة الموت من فارس... هناك سوريا ولبيا واليمن... هذا الوضع سيئ.. لهذا السبب روسيا مفتاح.. هل روسيا حقّاً سيئة لهذه الدرجة؟ هم أناسٌ شريرون، ولكن العالم مليء بالأشرار» — ستيف بانون «الوضع أسوأ مما يمكن أن تخيله. أبلهٌ محاطٌ بالمهرجين. ترامب يرفض أن يقرأ أي شيء — ولا حتى المذكرات المكونة من صفحة واحدة، ولا حتى أوراق السياسة المختصرة، لا شيء. ازْهَهُ ينهض وينصرف في وسط الاجتماعات مع قادة العالم لأنّه شعر بالملل. وطاقمه ليس أفضل منه. كوشنر ولدٌ مدلل لا يعرف شيئاً. بانون ندلٌ مغرور يعتقد أنّه أذكى مما هو عليه. ترامب ليس إنساناً، بل هو مجموعة من الصفات السيئة. لا أحد سيكمل السنة الأولى باستثناء عائلته» — من رسالة الكترونية لغاري كوهين، المستشار الاقتصادي لترامب، يصف فيها البيت الأبيض.

«هو ليس مجنوناً فحسب، ازْهَهُ غبيٌّ أيضاً» — توم باراك عن صديقه ترامب

«خلال قمة الرّياض»

عبد الفتاح السيسى لترامب: أنت شخصية فريدة قادرة على صنع المستحيل.  
دونالد ترامب للسيسى: أعجبني حذاوك كثيراً. يا رجل! يا له من حذاء!»

كتاب ما يكل وولف الجديد عن السنة الأولى لادارة ترامب، «نار ونقطة»، من الكتب التي يمكن انها ؤها في جلسة واحدة وذلك لسبعين. أوّلاً، السرد ممتعٌ و«قصصي» لأنّ الكاتب يختزل السياسة الى أدنى درجاً لها: الأفراد ورغباتهم وخلافاتهم وتصرفاتهم غير المتوقعة. لن تجد في الكتاب شرحاً استراتيجياً أو كلاماً عن قضايا كبيرة، بل هي كلّها «خلفية» أمام «المسرحية» التي يصفها وولف، ويلاعب على خشبتها أبطاله. من جهةٍ أخرى، فإنّ شخصيات هذه الادارة، على نحوٍ خاص، من النوع الروائي الذي يكفي وجوده في البيت الأبيض حتّى ينتج أحداثاً مثيرة: من ترامب نفسه الى ستيف بانون، الایديولوجي المهووس الذي يبتدع دوماً، لتوصيف الوضع، تشابيه تاريخية أو ملحمية (فترامب يريد بانون أن يكون مثل اندره جاكسون، لأنّ ترامب يعرف من هو جاكسون، وهو يتخيّل دوره تجاه الرئيس كدور توماس كرومويل تجاه هنري الثامن؛ وحين ساءت الأوضاع في البيت الأبيض شبّهها بانون ببلط أسرة تودر في بريطانيا)، الى ايفانكا وجارد كوشنر، وصولاً الى شخصيات جانبية كاريكاتورية مثل أنتوني ساراموتشي («ذا موتشر»)، الذي كان يسرّب الفضائح ضدّ خصومه حتّى قبل أن يتسلّم منصبه في الادارة. يقول وولف إنّ ما يجعل ادارة ترامب مميّزة هي أنّ من يصل عادةً الى منصب الرئيس في المؤسسة الأميركيّة يكون قد خطّطاً وعمل نحو ذلك الهدف طوال عمره، فيعيش حياةً «نظيفة»، ملائمة، تناسب وقار المنصب (أو يحرص على اخفاء آثاره حين يتتجاوز)، وتظلّ عائلته في الظلّ تلعب دورها المتوقّع. المسألة، بحسب وولف، هي ليست أنّ ترامب — وأكثر الفريق الذي أحضره الى البيت الأبيض — لم يمارس السياسة في حياته، بل إنّ دونالد ترامب، حتّى خلال الحملة التي أدرّت الى انتخابه، لم يكن يتوقّع الفوز او يسعى اليه حتّى. ومن هنا تبدأ القصة.

احدى العجج الأساسية التي يقدّمها وولف هي أنّ دونالد ترامب وفريقه كانوا متصالحين مع فكرة الهزيمة. في الأيام التي سبقت الاقتراع، يروي الكاتب، كانت كيلي آن كونواي، مديرّة الحملة، «في مزاج جيد» لأنّها أُفهمت بأنّ الخسارة أمام هيلاري ستكون في حدود ست نقاط مئوية لا أكثر، وهو ما يشكّل نتيجة «جيّدة». وكونواي كانت تتحمّل لإطلاق مهنتها في مجال التعليق التلفزيوني والإخباري بعد «الهزيمة». ايفانكا وجاريد كوشنر كانوا يطمحان، بالمثل، الى بناء نجميتهم واستغلالها بعد الحملة. حين قيل لما يكل فلين إنّه من غير المستحسن له أن يتلقّى أموالاً روسية مقابل الخطابة وأن يحلّ ضيفاً في موسكو كان يحب «هذا لن يشكّل مشكلة ألا لو فزنا». بل إنّ ترامب نفسه قال لأحد المقربين، قبيل الاقتراع، بأنّ «الهزيمة هي فوز»، وكان يتهيّأ لاستغلال نجميته السياسية وإطلاق محطة تلفزيونية مع روجير ايلس (المدير السابق لـ«فووكس نيوز») وآخرين. وحين أخبرته زوجته ميلانيا بأنّها لن تتمكن من احتمال حياة السياسة والأضواء، وعدّها ترامب بأنّ الأمر كلّه سينتهي في نوفمبر حين يجري التصويت (ويخسر الانتخابات). في يوم إعلان النتائج، حين فهم ترامب أنّه سيفوز، لم تكن ردّة فعله فرحاً او ابتهاجاً او نشوةً بل شحب وجهه «أنّه رأى شيئاً»، أمّا ميلانيا، فقد أجهشت بالبكاء. الوحيدة من حول ترامب الذي كان متيقّناً من الفوز في المعركة الانتخابية، بحسب وولف

وسريته، كان ستيف بانون، الذي تشكّل علاقته مع ترامب، وصعوده وسقوطه داخل البيت الأبيض، أهمّ محاور هذا الكتاب.

## لعبة الكراسي

تبسيّب وصول فريقٍ لم يتحمّل للحكم إلى البيت الأبيض بأكثر من نتيجة، لم تكن كلّها نعمةً على «الفريق الفائز». بول ما فورت، أحد مدیري حملة ترامب، سيدخل السجن وتصادر أمواله ويختسر كلّ شيء لأنّه وقع بين المطرقة والسندان في المواجهة بين ترامب و«الدولة العميقه». ما فورت كان رجلاً فاسداً في حياته العملية، يبيع «الخدمات السياسية» لأثرياء روس وأوكرانيين ويكتسب عشرات ملايين الدولارات ويغسلها ويهرّبها إلى أميركا من دون التصرّح عنها. وهو فعل ذلك لعشرين السنين قبل أن تضعه وزارة العدل نصب عينيها حين فتح تحقيقها حول حملة ترامب وتوقع به أشدّ العقوبات. ما فورت ساعد ترامب في حملته بهدف نيل المزيد من العلاقات والصفقات، ولو كان يعلم بأنّه سيصبح جزءاً من بلاط رئيسٍ يعادى السلطة القضائية ويحاربها، وأن حياته وأعماله ستوضع — على حدّ قول وولف — تحت المجهر، لما وافق على استلام المهمّة. هذا تحديداً ما فعله توم باراك (وهو ملياردير صديقٌ لترامب، ومن أصل لبناني) حين عرض عليه الرئيس أن يصبح مدير مكتبه، فأجابه بما معناه «أنا أكثر ثراءً من أفعل هذا». حالة «عدم الاكتراش» هذه قد تكون ما دفع بابن دونالد ترامب، مع كوشنير وما فورت، إلى قبول الاجتماع الفضيحة مع شخصيات روسية (بينهم عملاء للحكومة) في «برج ترامب» في حزيران 2016، بعد أن وعدوهم بمعلوماتٍ قد تؤدي هيلاري كلينتون. كانت الحملة في اسوأ أيامها، ولا توجد فيها قيادة، والعائلة كانت مستعدّة لفعل أيّ شيء بلا تحسّب للنتائج؛ فكان الاجتماع التاريخي الذي قد يؤدي إلى ملاحقة كوشنير وربّما سجنه، أو حتّى إنهاء رئاسة ترامب بأسرها (استغلّ بانون الحادثة في ما بعد، ضمن صراع الأجنحة في الادارة، للتدليل على طيش كوشنير وانعدام كفاءته: «قاده الحملة الثلاثة اعتبروا أنها فكرة جيّدة أن تلتقي بحكومة أجنبية داخل برج ترامب، في قاعة الاجتماعات في الطابق الخامس والعشرين، ومن دون محامين ... حتى لو كنت بلا أخلاق، وترى الحصول على تلك المعلومات، فأنت تفعل ذلك في «هوليداي ان» ناءٍ في ما نشتّر، نيوهايمبشاير، ومعك المحامون...»).

في العادة، يقوم المرشّح بعمل تحقيقٍ عن نفسه وماضيه، ليعرف مسبقاً ما قد يتّهنه إن أصبح رئيساً، ولكنّ ترامب اعتبر الإجراء غير ضروريّ؛ بل إنّ حملته لم تقم — ولو من أجل المطاهر — بالتحضير للانتقال في حالة الفوز (توزيع الحكومة أموالاً فيديراлиة على الحملتين المتنافستين للتحمّل للانتقال، ومقابلة مرشّحين و اختيارهم مسبقاً). بعد الفوز بأيّام، اتّصل بترامب صديقه كريستي (الذي عيّنه على الورق، مديراً لشؤون «الانتقال») في ذعرٍ ليخبره أنّهم لم يفعلوا شيئاً بعد، وأنّ الأموال المرصودة يجب صرفها ولا يمكن توجيهها لاستعمال آخر. هنا الجزء الثاني من قصة

ما يكل وولف، وهو تحوّل دونالد ترامب من نجمٍ تلفزيونيٍّ لا علاقه له بالسياسة الى رجلٍ اقتباع بأزّه، طالما قد وصل الى المنصب، فهو قد ولد لأجل هذا القدر. فيما بانون، الذي يعتبر نفسه ابو «الترامبية» وصاحب الفضل في الفوز، يريد استخدام البيت الأبيض لاستكمال ثورته؛ بينما يخطّط اي凡كا وجاريد كوشنر لبناء مسيرة سياسية على طريقة آل كلينتون، مع فارق أن الاتّفاق بينهما، على ما يبدو، هو أن تترشّح ايافانكا أوّلاً وتكون هي أوّل «رئيسة» في أميركا. هذا هو المزاج المشتعل الذي صنع السنة الأولى من ادارة ترامب، ومصارع الأجنحة ولعبة الكراسي التي لم تبقّ، بعد رحيل فلين وبراينس وسبايس وباونون، والخروج الوشيك لتييلرسون وكيلي (يجزم وولف في كتابه بأن الجنرال كيلي، مدير مكتب ترامب وآخر «المحترفين» الذين يضطرون الادارة، هو في أيّامه الأخيرة)، سوى ترامب وابنه في البيت الأبيض، وحولهم يحوم التحقيق القضائي — بل إنّ الكاتب يلفت الى أن شباباً يافعين مثل هوب هيكس وستيفن ميلر، كانوا بمثابة «متدرّبين» في الحملة الانتخابية (interns)، قد يصبحان قريباً المسؤولين ذوي الاقدمية في الادارة الرئاسية.

## رئاسة في خطر

من وجهة نظر ما يكل وولف، فإنّنا يجب أن نتحرّر من أيّ أوهام حول مواهب ترامب ومهاراته، وما إن كان يخفي — خلف مظهرٍ مخادع — ذكاءً فطرياً أو اهتماماً بالسياسة. الخبراء اختبروه بعد فوزه بالانتخابات، ينقل وولف، وهم قد ذعرووا حين اكتشفوا أزّه لا يعرف شيئاً عن أي موضوع، دولي أو محلي أو اقتصادي، ولا بهمّه أن يتعلّم (كما قال بانون حين اشتكت اليه الطاقم الرئاسي «هذا من نوع الرجال الذين كانوا يكرهون المدرسة جدّاً، وهو لن يجدّها الان»). هذا من الأسباب التي سمحت له بالترنّح صوب من يؤثّر به في اللحظة، فيجعله بانون شعبيّاً في خطابه الافتتاحي، ثمّ يتحول وسطياً تحت تأثير جاريد وايفانكا (مواقف جاريد كوشنير، فعلياً، تشابه موقف الديمقراطيّين). ترامب لا يمتلك قناعات ايديولوجية محدّدة، وهو يؤمن بسياساتٍ مجذّزة ومتعارضة — الأمثلة الوحيدة التي يعبدّر فيها ترامب عن تفكيرٍ وتأمّل هي في النظريّات التي يسكنّها من صنف «كلّما زاد الفارق العمري بين الشركيين كلما قلّت حساسية المرأة لخيانته الرّجل». حتّى «كتابه» الشهير، «فنّ الصّفقة»، يؤكدّ الكاتب الذي خطّه بآنٍ ترامب لم يساهم فيه بجملةٍ واحدة، وهو على الأرجح لم يقرأه. ولكن قد تكون هنا، تحديداً، سقطة ترامب وعائلته: انعدام الانضباط، وهو ما اشتكت منه بانون طويلاً وأكّد على ضرورته في وجه تحقيقٍ قضائيٍ لـ«الدولة العميقة»، يرمي الى الغاء الرئاسة وتفسّط الأخطاء.

استراتيجية أعداء ترامب في البيروقراطية، كما يؤكدّ وولف، ليست في إثبات نظرية «التامر الروسي» كما تروّج لها وسائل الإعلام المعارضة، فهذه خيالية على الأرجح؛ هدف التحقيق هو إرباك الرئيس ومعاونيه، وجعله يرتكب الأخطاء أو يكذب أو يخفي معلومات، فتتمّ ملاحقته من هنا. ما كاد أن يدخل ما يكل فلين الى السّجن ليس التخابر مع السفير الروسي — فهذا ليس ضدّ القانون — بل الكذب

حين سأله الـ«ف بي اي» عن الموضوع (وهو لم يكن يعلم أن الاتصال واقعٌ تحت التنست الحكومي). الأمر ذاته ينطبق على لقاء «برج ترامب» بين الرّؤوس وصهر ترامب وابنه (بالمُناسبة، تجاءلت — بالصدفة — مع ايريك ترامب خلال الدّراسة في جورجتاون، وكنت أراه في الحرم الجامعي الصّغير ولكنّني، على عادتي في اجتناب الفرص، لم أحاول التعرّف اليه). من هنا، فإنَّ الكتاب أيضًا هو تاريخٌ لمحاولة سلسلةٍ من الأفراد (من روجير ايلس وروبيرت ميردوخ إلى الجنرالات وهيئة الحزب الجمهوري)، عبّاً، حماية ترامب من نفسه. على سبيل المثال، منذ اليوم الأوّل لانتخاب ترامب، حاول روجير ايلس أن ينبعّه إلى ضرورة بناء فريقٍ يقدر على مواجهة القادر من الأيّام: «سوف تحتاج إلى ابن عاهرةٍ ليكون مدير مكتبك. وستحتاج إلى ابن عاهرةٍ يعرف واشنطن. المفضل أن تكون انت ابن العاهرة الخاصّ بنفسك، ولكنّك لا تعرف واشنطن» — فلم يأخذ ترامب بالنصيحة وعيّن رينس برايبوس الضعيف، بعد أن حاول وضع أقاربه في المنصب وقيل له إنَّ ذلك سيكون فضائحًا وغير مقبول.

فيما ترامب يكاد يجد نفسه وحيداً في البيت الأبيض، و«العاقل» الوحيد من حوله هو الجنرال ما تيس الذي — بحسب وصف وولف — يحاول عابساً احتواء نزوات سيدده وحفوته، بينما ترامب يستمتع باذاته وعصيّان توجيهاته، يقول ستيف بانون (الذي يتكلّم عن نفسه بعد خروجه من البيت الأبيض بصفته الرئيس القادر لأميركا، والزعيم الحقيقي للحركة «الترامبية») للملءِ بأنَّ هناك ثلاثة احتمالات متساوية أمام ترامب: أمّا أن يصل نصل التحقيق إلى رقبته وينهي رئاسته على طريقة نيكسون، أو أن يعزله الكونغرس بسبب الجنون وانعدام الكفاءة، أو أن «يعرج» حتّى انتهاء ولايته الأولى. تبدو هذه القصص طريفة حين تستغرق في دقائقها حتّى تتبّعه، فجأةً، إلى أنَّ هؤلاء الأفراد الذين تقرأ عنهم هم من يحكم الكوكب اليوم.